



تحليل الوظيفة التعليمية للشعر عند الفاطميين

في تطوير المعتقدات الإسماعيلية وتفهمها

An Analysis of the Pedagogical Functions of Poetry for Fatemian (297-567 Hijri) in Promoting Isma'eli Doctrine

راضية أنصاري*

جامعة إصفهان - إيران ansari_raziye@yahoo.com

محمد على چلونگر - الكاتب المسؤول

جامعة إصفهان - إيران m.chelongar@yahoo.com

تاريخ النشر:

2022-01-01

تاريخ القبول:

2021-05-28

تاريخ الإرسال:

2021-03-25

ملخص: بما أن الاستيلاء على الحياز الإسلامية برمتها والسيطرة على العالم الإسلامي كان من طموحات الخلافة الفاطمية، فإن تبني إيدئولوجيتها ومبادئها الاعتقادية في المجتمعات الإسلامية كان ذا أهمية قصوى. لذلك حاولت الخلافة ترويج مبادئها الاعتقادية بشتى الطرق، وكان الشعر من الوسائل والأدوات التي استخدمتها لهذا الغرض. تهدف هذه الدراسة إلى رصد الوظيفة التعليمية للشعر عند الفاطميين في تعزيز التعاليم الإسماعيلية وتفهمها؛ ووفقاً للنتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، الوظائف التعليمية للشعر الفاطمي هي كما يلي: تشجيع المخاطب على التعلم والتفكير، طرح الأسئلة وإثارة فضول المخاطب حول القضايا العقائدية وإضعاف معتقداته السابقة، تقديم التعاليم الإسماعيلية وتفهمها من خلال الفنون الأدبية، تقوية التعاليم الإسماعيلية من خلال الأدلة الروائية والبراهين القرآنية، الرد على الاتهامات والتتوير حول التعاليم الإسماعيلية.

كلمات مفتاحية: التعاليم الإسماعيلية؛ الفاطميون؛ الشعر.

* المؤلف المرسل

Abstract: Since the perspective of Fatemi caliphate was to control over the whole Islamic territory and rule the Islamic world, it was of paramount importance for them to incorporate their ideology and doctrine principles into Islamic societies. Therefore, this caliphate strived for promoting its beliefs in different ways, including poetry. In this paper, a descriptive analytical method has been adopted to address the pedagogical functions of poetry for Fatemian and how poetry was employed to promote and aggrandize Isma'eli learnings? According to research findings, the function of Fatemian poetry include: encouraging the audience to educating and thinking, questioning and criticizing, raising curiosity in the audience and weakening their former beliefs, introducing Isma'eli principles and making them easy to understand using literary devices, strengthening Isma'eli learnings through Quranic and narrative evidences and reasons, answering to accusations and clarifying Isma'eli learnings.

Keywords: Isma'eli learnings; Fatemian; Poetry.

1-المقدمة: الخلافة الإسماعيلية الفاطمية التي تم تأسيسها عام 297 هـ على يد عبيد الله المهدي في المغرب العربي بمركزية القيروان وانتقلت مركزيتها في عام 362 هـ في عهد المعز لدين الله إلى القاهرة في مصر، كانت من أبرز منافسي الخلافة العباسية في الحكم على العالم الإسلامي. إن وجود قواسم عقائدية مشتركة بين النظام السياسي وعامة الشعب له تأثير بالغ في بقاء واستمرارية النظام السياسي، كما أنه يمنح النظام شرعية الحكم والسيادة على المجتمع، وعلى النقيض من ذلك، فإن عدم وجود قواسم عقائدية ودينية مشتركة يؤدي إلى حدوث شرح بين الحكومة والشعب، لذلك حاولت الخلافة الفاطمية استيعاب أهمية هذا الأمر وإلى جانب نشاطاتها للاستيلاء على الأراضي الإسلامية، قامت بنشر مبادئها الفكرية وتعليمها وترسيخها في هذه المنطقة وخاصة في نطاق الخلافة الإسلامية ليؤدي ذلك إلى تسريع تقبلها بأنها الخلافة الشرعية الوحيدة للمسلمين في مستقبل المجتمع الإسلامي، وقد استخدم الشعر جيداً في هذا المجال. في الواقع، كان الأدب الإسماعيلي أدبا دينيا تعليميا لما له من خصائص الفكر الشيعي الإسماعيلي. وإلى جانب استخدامه كسلاح في الرد على المعارضين ومواجهتهم، كان يتم استخدامه أيضاً لتبیین المعتقدات وتفسيرها.¹ كان استخدام الشعر في تفسير المعتقدات الإسماعيلية وتبيينها شائعاً جداً بين الدعاة الإسماعيليين الذين

كانوا شعراء متمكنين لاسيما في قصائد شخصيات بارزة في الخلافة الفاطمية منهم القاضي النعمان، ابن هاني، والمؤيد في الدين الشيرازي، وناصر خسرو القبادياني. يحاول البحث تسليط الضوء على الأسئلة التالية:

1. ماذا أراد الشاعر بتوظيف الشعر ضمن النص الشعري؟
2. هل استطاعت تقنية الشعر التعبير بصورة واضحة عن مواقف الشاعر الفكرية والعقائدية؟

تم تأليف العديد من الأبحاث ذات الموضوعات المختلفة من كتب وأطاريح ومقالات في حقل الأدب الإسماعيلي، وعبر عن الأفكار والمفاهيم الإسماعيلية التي تنعكس في قصائد الشعراء الفاطميين. ومن الكتب التي تناولت الحياة الأدبية في العصر الفاطمي ومشاهيرها بشكل عام بجدر الإشارة إلى كتاب "في أدب مصر الفاطمي" للباحث محمد كامل حسين و"الأدب في العصر الفاطمي" تأليف محمد زغول سلام. ومن الأطروحات التي كتبت في هذا المجال بجدر الإشارة إلى "جماليات النثر في العصر الفاطمي بمصر" لفاطمة أجدادي آراني في جامعة الزهراء والتي تناولت الجمال الفني لنثر الفاطميين بمصر كما أشارت بصورة عامة إلى موضوعاتهم الشعرية. كما أن العديد من الأطروحات في إيران تناولت قصائد ناصر خسرو الداعي الفاطمي المتمكن. كما كتبت مقالات عديدة في إيران في مجال شعر العصر الفاطمي وشعرائه، منها: مقال "صور من الشعر العربي في عهد الفاطميين" لفوزي عبد القاهر الميلادي، ومقال "الناحية التاريخية من شعر ابن هاني الأندلسي" لعبد الحميد العبادي، ومقال "العقيدة الفاطمية في شعر ابن هاني الأندلسي" لحسين حسن مخلوف، تناول فيها بعض أركان المذهب الإسماعيلي في قصائد ابن هاني ولم يلتفت إلى مبحث الوظائف التعليمية لشعر الفاطمي، ومقال "أثر المذهب الفاطمي في شعر المؤيد في الدين الشيرازي" لبروبز أحمد زاده هوج وحسن إسماعيل زاده وعبد الأحد غيبي والتي اهتموا

فيها بالقضايا العقائدية كالولاية والتوحيد والتأويل في أشعار المؤيد في الدين ولكن لم يسيروا إلى الاتجاه التعليمي لقصائده، ومقال "الفكر السياسي والاجتماعي المؤيد في الدين الشيرازي" لغسان بركات والتي تناول فيها أشعار المؤيد في الدين سياسيا واجتماعيا. كما يجدر الإشارة إلى مقال "الوظيفة السياسية والدينية للشعر في العهد الفاطمي بمصر في مواجهة المعارضين الخارجيين" لراضية أنصاري، ومحمد علي جلونكر، وفريدون الهباري، حيث تم التركيز على المواجهات الدينية السياسية للفاطميين مع معارضيه في القصائد وتم تجاهل الجانب التعليمي للشعر في هذه الدراسة. لكن في هذه الأبحاث لم تتم دراسة الوظيفة التعليمية للشعر عند الشعراء الفاطميين وطرق نقل المفاهيم الإسماعيلية إلى المخاطب عبر استخدام فن الشعر، فيحاول المؤلف في هذه المقال معالجة هذا الأمر الفائق الأهمية.

اعتمدت الباحثة في إعداد هذا البحث على المصادر الأدبية والعلمية والعقائدية التي تمت بصلة إلى الشعر الفاطمي والمذهب الإسماعيلي معتمدة على المنهج الوصفي-التحليلي.

2- الوظائف التعليمية للشعر الفاطمي في نشر التعاليم الإسماعيلية.

2, 1 **ترغيب المخاطب في التعلم والتعقل:** في بداية الخلافة العباسية خاصة مع ظهور حركة الترجمة، ازدهرت التيارات العقلانية والليبرالية كالمعتزلة ولكن ما أدى إلى تدهور هذا التيار وزواله هو اتخاذه سياسة المحنة والمضايقة وإقامة محاكم تفتيش العقائد ضد الحديثيين والتجريبيين في عهد المأمون العباسي ومعاقبة معارضيه الأيديولوجيين خاصة في قضية خلق القرآن منها؛ جلد أحمد بن حنبل.² فأدى عنفهم ضد معارضيهم وتطرفهم في العقلانية إلى ظهور تيارات معارضة مثل الأشاعرة والتي نجحت في تهميش هؤلاء العقلانيين المتطرفين في نهاية المطاف، كما تغير توجه السلطة الحاكمة لصالح الحديثيين والتجريبيين وتعرض العقلانيون والمعتزلة لإضطهاد شديد.³



وعلى الرغم من دعم التيار العقلاني من قبل البويهيين عند استلامهم الحكم والسلطة⁴، لكن لم يدم هذا الوضع طويلا، وعند استلام الخليفة العباسي القادر بالله الحكم والسلطة وإصدار أوراق الاعتماد بين عامي 402 إلى 420⁵ تمت إدانة أي تيار عقلائي يحاول فهم التعاليم الإسلامية بالتعقل مرة أخرى⁶ وما زاد وخامة الوضع بالنسبة للتيار العقلاني والعقلانيين قيام محمود الغزنوي بقتل المعتزلة والقرامطة والشيعة وإحراق الكتب الفلسفية والعقلية.⁷

عند استلام السلاجقة الحكم والسلطة، اكتسب الحديثيون والتقليديون المزيد من القوة، والقائم العباسي، خليفة القادر بالله بذل جهده لإعادة قراءة أوراق الاعتماد المنسوبة إلى القادر بالله وتنفيذها.⁸ حيث اتهم الفيلسوف الشهير عبدالسلام جنكي بالزندقة في عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله واعتقل وأحرقت كتبه الفلسفية علنا.⁹ ثم إتباع هذا الاتجاه بشكل منهجي لاسيما لمواجهة معارضي العقلانيين كالفاطميين عند استلام نظام الملك الطوسي الحكم والسلطة وبناء العديد من المدارس العسكرية، كما تم تأليف العديد من أعمال الغزالي في محاربة الأفكار الفلسفية تحت عناوين "المنقذ من الضلال" و"مقاصد الفلاسفة" و"تهافت الفلاسفة".

وفي ظل الظروف التي اعتبرت فيها الخلافة العباسية العلوم الفكرية والفلسفية تهديدا لها وعارضتها بشدة، جمع الفاطميون بين الدين والفلسفة،¹⁰ فكان على الواعظ الإسماعيلي أن يتعلم العلوم العقلية والفلسفية إلى جانب معرفة الموضوعات والقضايا الدينية.¹¹

كما اعتبر المقرئزي الاهتمام بالقضايا الفكرية والفلسفية إحدى مراحل التعليم الإسماعيلي وأشار إلى هذه القضية ضمن مراحل الدعوة.¹² فتم الاهتمام بكل العلوم العقلية والنقلية في مراكزهم التعليمية.¹³

وكان على المطالبين بالخلافة الفاطمية، خاصة من كانت لهم نشاطات في أراضي العدو، التأثير على المجتمع الذي اعتادا الاهتمام بالظاهر والبعد عن التعقل وتشجعه على التعليم والابتعاد عن الجهل واستخدام العقل والحكمة؛ كي يتمكنوا من نشر جميع تعاليمهم العقلانية في المجتمع.

ومن الواضح أن جذب الأفراد واحداً واحداً قد واجه العديد من الصعوبات وكان بطيئاً جداً، كما كان من المستحيل انعقاد اجتماعات لجذب الأفراد في حدود الخلافة العباسية. ففي تلك الظروف كان لفن الشعر باعتباره كلمة موزونة وجذابة وشائعة بين الناس أن يساعد في نقل المفاهيم بشكل أسرع وأسهل إلى المخاطب. ومما لا ريب فيه أن تقنية الشعر من أهم الوسائل والأدوات التعبيرية التي تحكي مواقف الشاعر الفكرية والعقائدية تجاه ما أحاط به من الظروف والواقع الملم. لذلك حاول الدعاة الفاطميون قيادة المجتمع نحو ميولهم الفكرية والعقلية عبر استخدام الشعر. ومن هؤلاء الدعاة ناصر خسرو القبادياني الذي كان ناشطاً في الدولة العباسية وتمتع بهذا التكتيك ودعا مخاطبيه إلى التعليم وتجنب الجهل في هذا الجو غير العقلاني. وأنشد العديد من القصائد في هذا الصدد.¹⁴

على سبيل المثال قام ناصر خسرو في الأبيات التالية بتشجيع مخاطبيه على التعلم عبر تكرار كلمة "تَعْلَم" وذكر أسماء الصحابة العظماء مثل سلمان واكتسابه لهذه المكانة العالية بالتعلم:

- بياموز اگر چند دشوارت آید/ که دشوار از آموختن گردد آسان
 بیاموز از آن کهش بیاموخت/ سر از گرد غفلت به دانش بیفشان
 بیاموز تا همچو سلمان بباشی/ که سلمان از آموختن گشت سلمان¹⁵
 - تَعْلَم وإن كان صعب عليك، لأن الصعب يصبح سهلاً عبر التعلم.
 - تَعْلَم من الذي عَلمه الله وأزيل الغفلة من عقلك بالتعلم



- تعلم لتكون مثل سلمان لأنه أصبح سلمانا واكتسب هذه المكانة بالتعلم.
إنه يستخدم أحيانا لحننا مرا ولسانا حادا لزيادة التأثير على المخاطبين وتحفيزهم وإيقاظهم من غفلتهم وتجاهلهم بهذه الضربة المؤلمة وإجبارهم على التعلم والتعقل، لذلك يعد في كثير من قصائده الجهل وصمة عار ويعرّف الجاهل بأنه أكثر الناس وقاحة في العالم:¹⁶

گر شرم نیادتنت زندانی/ بی شرم تر از تو کیست در دنیا؟¹⁷

- إن كنت لا تخجل من جهلك، فمن يكون أكثر وقاحة منك في العالم؟

يدعو ناصر خسرو الناس إلى التعقل والتفكير إضافة إلى التعلم مركزا على هذه النقطة الهامة في أشعاره. ويعتبر العقل هبة من الله ويجب التمتع به، فيبين التعقل على أنه فريضة لكي يلزم الناس بالاهتمام به:¹⁸

عقل عطاییست تو را از خدای/ بر تن تو واجب دین زین عطاست¹⁹

- العقل والتعقل هبة من الله لك وواجب ديني.

وفي أبيات أخرى، إضافة إلى حقيقة أن العقل نعمة إلهية وينبغي استخدامه والتمتع به، يعترف الشاعر بأن العقل هو الفارق الوحيد الذي يميز الإنسان عن الحيوان والذي يؤدي إلى تفوق الإنسان على الحيوان، كما يقوم الشاعر بتحقير الجهل وترغيب مخاطبيه في التعقل عبر هذا القياس في أشعاره:

فضل تو بر گاو وخر به عقل وسخن بود/ عقل وسخن نیست جز که هدیه جبار²⁰

چه داد یزدان ما را زجملگی حیوان/ مگر خرد که بدان بر ستور سالاریم²¹

- تفوق الإنسان على البقر والحمير بسبب عقله ونطقه، وليس العقل والنطق سوى هبتين من الله، ولم يعطنا الله إلا العقل الذي نفوق به على الحيوان.

2.2 طرح الأسئلة وإثارة فضول المخاطب في القضايا العقائدية وإضعاف معتقداته السابقة: طرح الأسئلة الكثيرة خاصة في القضايا العقائدية وإثارة الشك لدى المخاطب من خلال تحدي معتقداته بهذه الأسئلة المطروحة هو أحد الحيل والأساليب الدعائية للدعاة الفاطميين لترغيب الجمهور في التعاليم الإسماعيلية.

يشير المقرئ إلى أن الداعي الإسماعيلي كان يقوم بطرح الأسئلة ويترك مخاطبه ليفكر في الأسئلة المطروحة ويتأمل فيها،²² أي يقوم بتهييج المخاطب بطرحه الأسئلة لكي يقوده إلى هدفه من خلال إقناع فضوله، حيث يصور الدين للمخاطب على أنه مغطى بأسرار كثيرة إلى أن يظن المخاطب بأنه سيجد إجابته لدى الإمام فقط. وحسب تعبير المقرئ: "هكذا وفي هذا الوقت يحرص المخاطب على معرفة العلم الذي كان لدى الداعي ويتوق له".²³

وكان الشعر أحد أدوات الدعاة الإسماعيليين لنشر عقائدهم وتعليمها، لذا يظهر أسلوب طرح الأسئلة والاستجواب بوضوح في أشعار الدعاة الفاطميين. على سبيل المثال، يزرع الداعي المتمكن المؤيد في الدين الشيرازي بذور الشك في قلب مخاطبيه عبر طرح أسئلة حول بعض الأفكار والمعتقدات ويدفعهم نحو التفكير والتدبر في هذه المعتقدات، ثم يحاول غرس أفكاره ومعتقداته فيهم، ويجدر الإشارة إلى الأبيات التالية في هذا الصدد:

أيها المدعي التلاشي حمقاً	ذا الذي تدعي عليك وكيل
أترى هذه الصنائع طراً	عبثاً، ما لصانع محصول
حركات الأجرام قل لي لماذا	ولماذا طلوعها والأفول؟
ألها في مجالها الفعل أم لا؟	فبغير إذن يجوز تجول
إن تقل ذاك فعلها باختيار	أنكرت منك ما ادعيت العقول ²⁴

ويقوم شاعر فاطمي آخر، وهو تميم بن المعز باستجواب مخاطبيه في أشعاره من خلال التعبير عن موقف علي (ع) في أحداث مختلفة كالمباهلة وليلة المبيت، والهجرة، والحروب التي وقعت في تلك الحقبة مع الكفار وحادثة الغدير، لكي يظهر تفوق علي (ع) على الآخرين لاسيما تجاه عباس بن عبدالمطلب سلف العباسيين الذين كانوا من معاصريه في الحكم ومن معارضيه في تولي منصب الخلافة على النحو التالي:

وبمن بأهل النبي أنتم جهلاءً بواضح الأخبار²⁵

ومن ثم يسأل مباشرة عن موقف عباس في ذلك الوقت ويدفع مخاطبيه للمقارنة بين هاتين الشخصيتين وفي النهاية نظرا إلى تأثير علي (ع) ودوره في كل تلك الأحداث مقارنة بعباس سلف الخلفاء العباسيين وعدم مشاركته في أي من نشاطات الحكومة الإسلامية الوليدة، يتم اختيار علي (ع) والاعتراف بتفوقه:

أين ذاك العباس في الهج رة أم في الفراش أم في الغار²⁶

نعود مجددا إلى الشاعر ناصر خسرو القبادياني الذي استخدم كثيرا أسلوب طرح الأسئلة خاصة في الشعر من أجل تغيير معتقدات واتجاهات مخاطبيه أثناء الدعوة، فقام بتأليف مجموعته الشعرية وبعض أعماله مثل "كشايش ورهايش" (الإفراج والتحرر) و"جامع الحكمين" على أساس الاستجواب. على سبيل المثال، يستخدم ناصر خسرو هذا الفن جيدا في أشعاره لنقل معتقداته حول مسألة الجبر والاختيار إلى مخاطبيه وغرسها فيهم حتى يسوقهم نحو قبول رأيه ومعتقدده. كانت الجبرية شائعة جدا في عهد ناصر خسرو وتظهر نفسها بأشكال شتى، منها: أن أفعال الإنسان خارجة عن إرادته واختياره وأن الظروف السائدة هي حسب إرادة الله مشيئته فكان يتم ترويح هذه الفكرة من جانب الخلافة العباسية والحكومات التابعة لها لإخضاع الناس لأفعال العباسيين ومطالبتهم، لأن فكرة إدانة البشر وإخضاعه لمصير مقدر له لا يحتمل التغيير تسلب

المجتمع أي رغبة في طرح الأسئلة أو النشاط أو المقاومة. فتتبيه ناصر خسرو لمخاطبيه بأن الإنسان كائن حر ولديه حرية الاختيار لم يكن مجرد تعليم للمعتقدات الإسماعيلية بل هو أداة وسلاح لتحريض الشعب على الحكام العباسيين وأتباعهم. لذا نجد في أشعاره كيف يعلم الشعب -عبر طرح الأسئلة المثيرة للتأمل والتعقل -بأنه شعب حر ولديه الإرادة وحرية الاختيار:

از پس آنکه رسول آمده با وعد ووعید/ چند گویی که بد و نیک به تقدیر
وقضاست؟²⁷

- بعد أن أتى الرسول واعدًا متوعدًا، فكيف تقول أن خير الإنسان وشره هو قضاء وقدّر وخارج عن إرادته أي ليس باختياره.

في هذا البيت يقوم بتذكير وعد الرب ووعيده ويتساءل كيف يمكن أن ننسب الخير والشر للقضاء والقدر بعد أن أتى وعد الله ووعيده؟ لأن في الحالة هذه يكون تحذير الله وتذكيره عبثًا لأمعني له ومعاذ الله أن يخلق شيئًا عبثًا.

وفي الأبيات التالية يشير الشاعر إلى أمر الله بالخير ونهيه عن الشر، كما يشير إلى عدم مسئولية الحيوانات تجاه أفعالها وعدم التزامها بالفرائض الدينية والأخلاقية من خلال طرح أسئلة في هذا الصدد؛ من أجل تحرير الشعب من معتقد الجبر والإيمان بالاختيار والإرادة:

«مکن بدی و تو نیکی بکن» چرا فرمود	خدای مارا، گر ما نه حی ومختاریم؟
چرا که گرگ ستمکاره نیست سوی خدا	به فعل خویش گرفتار وما گرفتاریم؟
چرا به بانگ و خروش و فغان بی معنی	کلنگ نیست سبکسار وما سبکساریم؟
چرا بر آهوی و نخچیر روزه نیست و نماز؟	چرا من و تو بدین کارها گران باریم؟ ²⁸



- لا تفعل الشر وافعل الخير، لأننا لو لم نكن أحياء مختارين لما أمرنا الله بفعل الخير وتجنب الشر.

- لأن الذنب ليس ظالما عند الله على ما فعل ولا يلام على شيء لكن نحن البشر مسئولون عن أعمالنا ونحاسب عليها.

- لماذا لا يعتبر الفأس خفيف العقل إثر صراخه على عكس البشر.

- لماذا لا صلاة ولا صيام للغزلان والصيد والماعرز؟ ولماذا على الإنسان

الالتزام بالصلاة والصيام؟

ويطرح العديد من الأسئلة الأخرى حول سبب خلق الإنسان ومصيره، والعرش والتلميح إلى أن الله هو السميع البصير،²⁹ وأخيرا يحيل كل ذلك للعقل ويدفع مخاطبيه نحو التعقل للعثور على إجابة هذه الأسئلة:

هیچ نگفتی که: این که کرد و چرا / کار عظیمست چیست عاقبت کار عقل ز بهر تفکر است در این باب/ بر تن و جان تو، ای پسر، سرور و سالار³⁰

- هل تساءلت يوماً من فعل هذا ولماذا فعل؟ هذا الفعل شيء عظيم

ومهم ولكن ماهي عواقبه؟

- يا بني! خُلق العقل من أجل التفكير في هذا الصدد.

كما يمكن الإشارة إلى جهود ناصر خسرو لإضعاف موقف الفقهاء، والتي استهدف بها مراجع صدور التعاليم العقائدية لدى مخاطبيه من أهل السنة، فراح يزعزع أفكارهم وتعاليمهم من خلال التشكيك بعلمائهم ووصفهم بالمنافق والمكار، والمرتشي والجشع وبائع العلم والشيطان³¹ ومن ثم راح يستوجب مخاطبيه في ما يخص اتباع هؤلاء الفقهاء الذين وصفهم بالمرتشين:

خواهم بدانم که مر این بی خردان را/ طاعت به چه معنی و زیهر چه نمائید

چون حکم فقیهان نبود جز که به رشوت/بی رشوت هر یک ز شما خود فقهایید³²

- أريد أن أعرف لماذا يطيع هؤلاء الحمقى الفقهاء المرتشين.

- بينما كل واحد منكم دون أخذ الرشوة هو فقيه بنفسه.

3.2 إلقاء التعاليم الإسماعيلية وتفهمها عبر استخدام الأساليب الأدبية: يحاول الدعاة الفاطميون نشر التعاليم الإسماعيلية عبر استخدام الشعر، فإنهم وإضافة إلى تعليم طلابهم يقومون بتعليم الآخرين بشكل غير مباشر ويعرفونهم بمبادئ المذهب الإسماعيلي. لذلك فقد اختصت موضوعات قصائد الشعراء الفاطميين بالعديد من ألفاظ هذا المذهب.

على سبيل المثال، بالنظر إلى قصائد القاضي النعمان نجد أن قصائده هي أدوات ترويجية استخدمت لتحقيق أهداف أخرى غير الشاعرية، وأنشئت من أجل التشريع الفقهي، والأحكام والرد على الأديان والمذاهب المعارضة لها.³³

واستخدم الدعاة الآخرون لاسيما الذين يقومون بمهام خارج الأراضي الفاطمية والمسؤولين عن نشر التعاليم الإسماعيلية في أراضي العدو، أداة الشعر لتعليم مبادئ المذهب الإسماعيلي. فقد أنشد ناصر خسرو أشعار كثيرة تعرف الفكر الإسماعيلي والتعاليم الإسماعيلية، كمتعقد التأويل الذي له مكانة هامة في الفكر الإسماعيلي. كان الإسماعيليون يعتقدون أن لكلام الوحي بُعدين بُعد خارجي وبُعد داخلي، وكانوا يطلقون على البُعد الداخلي تسمية التأويل ويحرصون على الالتزام به، وعلى الرغم من اهتمامهم بالبُعد الخارجي للشرعية أيضاً فقد كانوا يؤكدون دائماً على دعم الاثنين معاً والحفاظ على التوازن بينهما، إلا أنهم أعطوا قيمة ومصادقية أكبر للبُعد الداخلي للشرعية.³⁴ لذلك لجأوا إلى استخدام الشعر لتعليم التأويل وانتقال هذا المفهوم إلى مخاطبيهم. كما قام ناصر خسرو في أبيات كثيرة بتعريف التأويل:

دين ودنيا را بنياد مثل كالبديست/ علم تأويل بگويد كه چگونه ست بناش³⁵

شور است چو دریا به مثل صورت تنزیل/ تأویل چو لؤلؤ است سوی مردم دانا³⁶



- للدين والدنيا جسد والتأويل يبين كيفية بناءه.

- ظاهر التنزيل يشبه البحر المالح، والتأويل هو كاللؤلؤ للعلماء أي هو بطن القرآن. يحاول الشاعر إظهار قيمة التأويل بالنسبة إلى التنزيل وأهمية الباطن بالنسبة إلى الظاهر للمخاطب في سياق التشبيه والاستعارة، فيشبه الدين بجسد يمكن للتأويل أن يشرح كيفية بنائه وبنيته، وفي البيت الثاني يصور التنزيل على أنه بحر مالح ويمثل التأويل لؤلؤاً. وفي بيت آخر يشبه التنزيل دون التأويل بالماء تحت القش لكي يلفت انتباه المخاطب إلى هذه النقطة الهامة من خلال إظهار مكانتها وأهميتها

نیست تنزیل سوی عقل مگر
آب در زیر کاه بی تأویل³⁷

- التنزيل دون التأويل يشبه الماء تحت القش.

وإضافة إلى الأبيات التي أنشدها هذا الداعي لتعريف التأويل وتعليمه إلى مخاطبه، يدعو مخاطبيه لقبول هذا التعليم في أبيات أخرى، ويطلب منهم مباشرة أن يفهموا هذا المهم الذي هو بمثابة الشمعة والمصباح لتابعيه.

تأویل را طلب که جهودان را
این قول پند یوشع بن نون است
تأویل برگزیده مار جهل
ای هوشیار نادره افسون است
تأویل حق در شب ترسای
شمع و چراغ عیسی و شمعون است³⁸

- اطلب التأويل فإنه نصح يوشع بن نون.

- واعلم أيها العاقل أن التأويل على من لدغته أفعى الجهل بمثابة سحر نادر مؤثر. - التأويل عند المسيحيين كشعة ومصباح عند عيسى (ع) وشمعون.

ففي الأبيات السابقة يركز الشاعر ناصر خسرو إضافة إلى خلق الموسيقى الشعرية، على معتقد التأويل عبر استخدامه أسلوب التكرار لكي يلفت انتباه مخاطبيه إلى موضوعه المنشود. وفي البيت التالي فإنه يشير إلى معتقد إسماعيلي آخر إضافة إلى تعريف التأويل:

مر نهفته دختر تنزِيل را معنی وتأويل حيدر زيور است³⁹

- التنزيل هو بمثابة فتاة والتأويل والمعني هو الزينة والزخرف لهذه الفتاة.

في هذا البيت يقوم الشاعر بتشبيه التنزيل بفتاة ويعتبر التأويل زينة لها، والمهم والملفت في هذا البيت إنه لا يشير إلى معتقد التأويل وأهميته فحسب بل يشير أيضا إلى معتقد آخر وهو تحديد قدرة الأئمة على التأويل. كما يعبر عن التأويل بحيدر وهو علي بن أبي طالب (ع) فهو بمثابة زينة للتنزيل، لأن الإمام هو الوحيد الذي يقوم بمهمة التأويل حسب المعتقدات الإسماعيلية، ولا أحد يملك علم التأويل سوى الإمام. كما قال القاضي النعمان في أساس التأويل: «جعل الله ظاهر القرآن، الإعجاز الذي نزل به الرسول (ص) وباطن القرآن وتأويله هو إعجاز الأئمة (ع)؛ ولا يوجد علم التأويل إلا عند الأئمة (ع) وهم ذرية الرسول (ص)، كما أن النبي محمد (ص) هو الوحيد الذي يملك إعجاز التنزيل».⁴⁰

كما انعكس هذا المعتقد في قصائد وأغاني الشعراء الفاطميين، وهم يحاولون نقل هذه الفكرة إلى مخاطبيهم عبر استخدام الشعر بأن أسرار الشريعة لا يمكن فهمها إلا عن طريق الإمام.

وبهذه الطريقة، إضافة إلى تعليم مبحث التأويل، سيربطون مخاطبيهم بالإمام الإسماعيلي الذي في رأيهم هو الوحيد الذي لديه معرفة التأويل. كما أشار ناصر خسرو في أبيات إلى هذا المهم:

معنى سخن ايزد پيغمبر داند بهتان بود ار تو به جز اين گويى بهتان
بر مشکل اين معجزه جز آل نبى را كس را نبود قوت ونه قدرت وسلطان⁴¹

- إن النبي هو الوحيد الذي يعرف معنى كلمة الله، وإن اعتقدت غير هذا فهو خطأ وافتراء.

- لا أحد يملك القوة والمقدرة على حل مسائل الإعجاز سوى آل الرسول (ص).

كما تناول المؤيد في الدين هذه المسألة في قصائده، إضافة إلى تعريف التأويل والتعبير عن أهميته وضرورة التعرف على المعاني الداخلية والأحكام الإلهية⁴²، ويقر بأنه لا يمكن الوصول إلى المعرفة إلا عن طريق أئمة أهل البيت (ع) وهم وحدهم من يمكنهم الوصول إلى هذه المعرفة، كما يشبه المعرفة بباب مغلق ومفتاحه بيد الأئمة فحسب. ويعتبر المؤيد في الدين هذا العلم بأنه النور الذي أعطاه الله للأئمة (ع)، وبهذا يمثل علمهم بأنه علم إلهي بلا منازع، في الواقع، فالشاعر إضافة إلى التعبير عن علم التأويل، قد جعل هذا العلم أداة لجذب مخاطبيه إلى الإمام (ع) الذي هو الوحيد من يملك هذه المعرفة، وأيضاً لاكتساب الشرعية للإمام (ع).

وإنما باب المعاني مقفل	وأكثر الأنام عنها غفل
مفتاحه أضحي بأيدي خزنة	بهم إلهي علمه قد خزنه
كيما يلوذ الخلق طرا بهم	خصاوا بهذا النور من ربهم
أولئك الأبرار آل المصطفى	ومن بهم مروءة عزت والصفاء ⁴³

أو يمكن الإشارة إلى معتقد آخر مثل النص، مما يعني أن وصي النبي (ص) وخليفته هو الإمام المعصوم الذي اختاره الله وفقاً للنص الإلهي دون تدخل من الأمة.⁴⁴

وقد استخدم الفاطميون الشعر لتقديم هذا المعتقد وترسيخه في مخاطبيهم إضافة إلى تناوله في مختلف الآثار الكلامية والفقهية ككتاب "المصابيح في إثبات الإمامة" لحميد الدين الكرمانى الذي يقدم أدلة وبراهين لذلك⁴⁵، وبهذه الطريقة قاموا بتذكير

المخاطب بأن تعيين الإمام يتم وفقاً للنص القرآني فهذا سعوا لتوفير الشرعية اللازمة لأئمتهم عند مخاطبتهم إضافة إلى تعليمهم موضوع "النص". على سبيل المثال في الأبيات التالية يلفت المؤيد في الدين انتباه جمهوره إلى النص الصريح لخلافة علي (ع) وإمامته في واقعة الغدير من خلال نزول الآية 67 من سورة المائدة ألا وهي: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» ويعتبرها برهاناً وإثباتاً لولاية الإمام علي بن أبي طالب (ع) ولاية قطعية يجب على الناس أن يكون على علم بها:

وَأَنْتَ فِيهِ آيَةٌ النَّصِّ بَلَّغْ يَوْمَ خَمٍّ لَمَّا أَتَى جَبْرِيلُ
ذَاكُمْ الْمُرْتَضَى عَلِيٌّ بِحَقِّ فَبِعِلْيَاهُ يَنْطِقُ التَّنْزِيلُ⁴⁶

إضافة إلى نصية ولاية الإمام علي (ع)، يعتقد الفاطميون بأن لأئمتهم امتياز التعيين حسب النص، حتى أن أحد الشعراء الفاطميين المسمى بعمارة اليمني يعتبر نص إمامة الخليفة الفاطمي الفائز بن ظافر استمراراً لنص النبي لخلافة علي (ع) يوم الغدير، فبذلك منح الخلفاء الفاطميين امتياز شرعية الخلافة باعتبارهم آل بيت الرسول (ص) إضافة إلى تبليغ وصاية علي (ع) وإثبات إمامته:

وَرِثْتُ الْهَدَى عَنْ نَصِّ عَيْسَى بْنِ حَيْدِرٍ وَفَاطِمَةَ لَانَصِّ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ
وَكَذَلِكَ وَصِيَّ الْمَصْطَفَى فِي ابْنِ عَمِّهِ إِلَى مَنْجَدِ يَوْمِ الْغَدِيرِ وَمَتَّهِمْ⁴⁷

4.2 تقوية التعاليم الإسماعيلية من خلال البراهين الروائية والقرآنية: إن مكانة القرآن والحديث وتأثر المسلمين بهما قد جعلت الخطاب المبني على هذين المصدرين أكثر قبولا وأعلى منزلة. وهذا ما هيا المجال للدعاة الإسماعيليين لاستخدام القرآن والحديث النبوي لتقوية كلامهم والتأثير على أذهان الناس وبالتالي قبول التعاليم الإسماعيلية من قبل الناس، إضافة إلى استخدامهم الشعر الذي يضاعف جاذبيه المحتوى لنشر

تعاليمهم. تم توظيف القرآن والحديث في أشعارهم بطرق مختلفة كالاقتباس والتلميح والتأويل، وهذه الإشارات المباشرة وغير المباشرة إلى المصادر المؤيدة من قبل المجتمع الإسلامي ولاسيما الاستشهاد بكتاب الله تؤدي إلى عدّ التعاليم المقدمة على أنها أمر إلهي فيصبح بذلك رفضها ومعارضتها أكثر صعوبة.

وعلى سبيل المثال يستند القاضي النعمان إلى آيات قرآنية منها الآية 106 من سورة المائدة -والتي يكلف فيها الشخص عند موته بترك وصيته ولو لغير المسلم في حال غياب شخص مسلم بجواره حتى وهو في سفره - في رده لمجموعة نفوا وجود أي وصية لخلافة الإمام علي (ع) من قبل النبي (ص) كما يبين أهمية الوصية في قاموس الإسلام فهو يقدم بذلك سنداً وثيقاً لإقناع المخاطب بقبول هذا الأصل بأن النبي (ص) أوصى باتباع القرآن الكريم.

يأمر فيه الناس بالوصايا إن تركوا خيراً من العطايا؟
وأنه شدد فيها إذ أمر حتى أباح في الوصايا في السفر
شهادة الذمي إن دعاه من لم يجد في وقته سواه⁴⁸

أو فيما يتعلق بتعليم مفهوم الإمامة والولاية وضرورتها، وخاصة وصاية علي (ع) للمخاطبين، يستشهد بالآية 128 من سورة التوبة والتي تشير إلى حرص الرسول (ص) على هداية أمته ونجاتها. ووفقاً لهذه الآية التي وظف الله تعالى كلمة "الحريص" فيها والتي تظهر مدى اهتمام الرسول (ص) بعاقبة المجتمع الإسلامي ومستقبلهم، ينفي فكرة عدم مبالاة النبي بأحوال أمته وأوضاعها بعد وفاته وينفي فكرة عدم تركه وصايا في هذا الصدد. فينشد في هذا المجال:

عليه من حرص له علينا ورأفته ورحمة إلينا⁴⁹

كما يذكر أبياتاً تشير إلى وصية الرسول (ص) لعلي (ع) في حق أولاده وأمواله رداً على من يعتبره وصياً في هذا المجال فحسب، فيدعو بذلك مخاطبيه إلى التفكير

بأنه كيف يمكن للرسول (ص) أن يوصي عليا (ع) لماله وأولاده، ويترك أمته ويتجاهلها؟⁵⁰!

ولأن غالبية المجتمع الإسلامي من أهل السنة، كانت عقيدة الإمامة وولاية الإمام علي (ع) هو وذريته وكذلك ضرورة الإمامة التي هي نقطة التمييز والاختلاف بين السنة والشيعة، تعرض على الجمهور مع الاستناد بالقرآن والحديث وذكر اقتباسات عديدة منه، فهذا الأسلوب لم يصعب إنكار هذا المعتقد ومواجهته فحسب، بل يشجع الجمهور على قبوله أيضاً، على سبيل المثال يستشهد المؤيد في الدين في البيت التالي بالآية 59 من سورة النساء، لإثبات ضرورة طاعة أولي الأمر وهم في المعتقد الشيعي الأئمة من ذرية الرسول (ص)⁵¹ حيث جعل الله طاعة الرسول وأولي الأمر بجانب طاعته في هذه الآية:

وهم أولوالأمر أئمة الهدى عصمة من لأذ بهم من الردى
مفروضة طاعتهم على الأمم قاطبة من عرب ومن عجماء
اقرأ: أطيعوا الله والرسولاً ثم أولي الأمر بهم موصولاً⁵²

أو من خلال الإشارة إلى الآية 67 من سورة المائدة والتي نزلت على النبي يوم الغدير، يذكر الشاعر حادثة الغدير وخطبة الرسول في حجة الوداع، كما يوثق ولاية علي (ع) على أنها نصاً إلهياً مستنداً بالقرآن، ويقدم هذا المعتقد الشيعي الهام مع البراهين القرآنية والأدلة الروائية والتاريخية⁵³:

وأنت فيه آية النص «بلغ» يوم «خم» لما أتى جبريل
ذاكم المرتضى علي بحق فبعلياه ينطق التنزيل⁵⁴

وأما حديث الغدير الذي نطق به النبي (ص) في حجة الوداع في شأن علي (ع) مفاده: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» كان



من أهم الأدلة التي استند بها الشيعة لإثبات خلافة علي (ع) ووصايته. فظهر هذا الحديث في أشعار الشعراء الفاطميين كثيرا. ومن الشعراء الذين أشاروا إلى هذا الحديث بصورة مباشرة وغير مباشرة في أشعارهم، يمكن الإشارة إلى تميم بن المعز،⁵⁵ مؤيد الدين،⁵⁶ ناصر خسرو القبادياني،⁵⁷ طلائع بن رزيك،⁵⁸ ابن عمارة اليمني⁵⁹ وغيرهم. كما قال ناصر خسرو الأبيات التالية:

بنگر که خلق را به که داد وچگونه گفت / روزی که خطبه کرد نبی بر سر غدیر
دست علی گرفت وبدو داد جای خویش / گر دست او گرفت تو جز دست او مگیر⁶⁰
- أنظر وتأمل إلى من أوكلت أمور الناس وكيف، في اليوم الذي ألقى فيه النبي
(ص) خطبته في الغدير.

- أخذ بيد علي (ع) جعله خليفته، فإذا أخذ الرسول بيده فلا تأخذ إلا بيده.
في الواقع، إن استخدام الحديث الذي يحتل المرتبة الثانية لدى المسلمين وله تأثير بالغ في إقناع الجمهور، كان أحد طرق الدعاة الفاطميين في إثبات صحة تعاليمهم الدينية والذي انعكس من خلال استخدامهم الشعر لنشر تعاليمهم، مثل حديث الغدير المذكور سابقا وأحاديث أخرى كحديث الثقلين،⁶¹ حديث المنزلة،⁶² حديث الكساء،⁶³ و... على سبيل المثال حديث المنزلة هو من الأحاديث المعروفة والمقبولة لعلماء السنة والشيعة والذي استخدمه معظم الشعراء الفاطميين في قصائدهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة مثل تميم بن المعز، مؤيد الدين، ناصر خسرو، طلائع بن رزيك، ابن عمارة اليمني، كالأبيات التالية من ناصر خسرو والمؤيد في الدين:

چو هارون زموسی علی بود در دین هم انباز وهم همنشین محمد⁶⁴
- كان علي في الدين بالنسبة إلى النبي (ص) بمنزلة هارون من موسى، وكان نظيره وقرينه ومصاحبه.

ولکم یشد قوی بنی هارونه ولکم یهد بنا بنی هامانه⁶⁵

والمؤيد في الدين يشير بصورة غير مباشرة إلى هذا الحديث في البيت التالي:

5.2 رفض الاتهامات والتنوير في التعاليم الإسماعيلية: نجاح الفاطميين في تشكيل الخلافة في شمال إفريقيا وظهور خلافتهم كقوة سياسية دينية والخوف من نفوذها وانتشارها إلى مناطق أخرى إثر فتح مصر، جعلهم عرضة للأنشطة العدائية للخلافة العباسية وحلفائها، حتى إنهم شنوا حربا نفسية ضد الفاطميين من خلال التخطيط لمشروع التخويف من المعتقد الإسماعيلي وخلق حالة خوف من الإسماعيليين. حاول معارضوا الفاطميين وخصومهم خلق الإرهاب والكرهية في المجتمع الإسلامي من خلال إثارة الدُعر، والاشمئزاز، وعدم الثقة بالطائفة الإسماعيلية كما قاموا بالتشكيك في النسب العلوي للخلفاء الفاطميين والذي كان دائما من أهم طرق اكتساب الشرعية⁶⁶ وجذب الطوائف الشيعية مثل بني عقيل والمزيديين،⁶⁷ والنبلاء الشيعيين من مكة والمدينة⁶⁸ وشيعة الكرخ في مركز الخلافة العباسية للفاطميين.⁶⁹ لذلك فإن العباسيين الذين أدركوا تأثير نسب هؤلاء العلويين قاموا باستهدافهم كي "يذلون ويسقطون من أعين الناس ولا يرغب أحد في اتباع دعوتهم"⁷⁰ حسب تعبير رشيد الدين فضل الله. كما شكل العباسيون استدعاءات بحضور علماء السنة والشيعية لرفض النسب العلوي للفاطميين في عهد القادر (422-381هـ) سنة 402هـ⁷¹ وفي عهد القائم (467-422) سنة 444هـ،⁷² إلى جانب كتابة الرسائل في إنكار النسب العلوي للفاطميين من قبل أشخاص مثل ابن رزام وأخو محسن. ومن ثم قرئت هذه البيانات على منابر بغداد والأراضي العباسية الأخرى لنشرها بين الجمهور من أجل نزع الشرعية عن الفاطميين.⁷³

وإلى جانب إنكار النسب العلوي، اتهم العباسيون الإسماعيليين بأنهم فجرة لا يتجنبون المحرمات ويتبعون الهوى والملذات والشهوات،⁷⁴ ولجعل اتهاماتهم أكثر موضوعية راحوا يقدمون رسائل مليئة بالأفعال الإلحادية والفاحشة مثل رسالة "السياسة والبلاغ الأكيد والناموس الأعظم" ويعرضونها باسم الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي

إلى زعيم القرامطة سليمان بن الحسن الذي كان يخاف منه المجتمع الإسلامي.⁷⁵ وإضافة إلى اتهامهم بالفجور، كان اتهام الخلفاء الفاطميين بالتناسخ⁷⁶ والغلو⁷⁷ والادعاء⁷⁸ بالألوهية رائجا بشدة. كما يقول عبد القاهر البغدادي في كتابه "الفرق بين الفرق" في تعريف الإسماعيليين:

سنذكرهم بأنهم من أهل الغل.⁷⁹ وإضافة إلى اتهام أهل السنة لهذه الطائفة، قام بعض الشيعة مثل أبي الحسن المؤيد بالله أحمد بن حسين بن هارون (411هـ ق) والإمام زيدي⁸⁰ وأبي المعالي محمد بن عبيد الله عالم القرن الخامس⁸¹ بتوجيه هذه الاتهامات ضد الإسماعيليين والخلافة الفاطمية.

تقديم صورة خاطئة ومشوهة من المعتقدات الإسماعيلية من قبل معارضيه وتعميم تصرفات الجماعات المنحرفة داخل الطائفة على الجميع أدى إلى المزيد من أعمال القيود والتهديدات على الفاطميين في مجال الدعوة الإسلامية وأوقف دعوتهم الدينية والسياسية. لذلك واجه الفاطميون هذا التيار بطرق شتى كي يتمكنوا من اتخاذ خطوة فعالة لتقليل نسبة الخوف من الإسماعيليين من خلال تقديم صورة إيجابية عن الإسماعيليين، وكان استخدام فن الشعر أحد طرق الدعاة الفاطميون لدحض الاتهامات والتتوير حول مذهبهم ومعتقداتهم. فراح الشعراء والدعاة الفاطميون يؤكدون على الهوية العلوية لخلفائهم ودفع الاتهامات عنهم في قصائدهم. قاموا بإثبات هذه الهوية في أذهان الجمهور ودفع المنكرين وإقناعهم عبر اقتباسها مرارا وتكرارا في أناشيدهم. على سبيل المثال يمكن العثور على عناوين مثل آل محمد، وأهل الكساء، وبني علي، وبني الزهراء، وبني فاطم، وبني النبي، وبني الوصي، وأبناء علي وفاطمة، وآل حيدر والزهراء، وآل المصطفى، وآل طه، وآل النبي، وآل أحمد، وأهل بيت محمد، وابن نبي الله، وابن النبي المصطفى، بكثرة في قصائدهم المدحية.⁸²

وقد أكد الخلفاء الفاطميون بأنفسهم على نسبهم العلوي في قصائد مختلفة:

أنا ابن رسول الله غير مدافع تنقلت في الأنوار من قبل آدم⁸³

وكذلك حاولوا إظهار معارضتهم لهذه التيارات التي تنتسب إليهم كعقيدة الغلو والتناسخ وقاموا بدحض الاتهامات من خلال تأليف قصائد. منها القصائد التي أنشدها القاضي النعمان في رد فرق الغلو كفرقة الحارثية والرزامية ولعنها. هذا الإقدام الذي قام به بصفته فقيها إسماعيليا بارزا في البلاط الفاطمي، لا يظهر الثورة الفاطمية فحسب بل يظهر قيام المذهب الإسماعيلي في مواجهة الأفكار المتطرفة ويثير الجمهور للتفكير حول الاتهامات الموجهة للطائفة الإسماعيلية. وهكذا ينشد في أبيات ترفض عقيدة الفرقة الحارثية:

ثم غلو في القول واستحلوا محارم الرحمن حتى ضلوا
وأسقطوا الفرائض الموجوبة مع سنة الصلاة والمكتوبة
وقد نقضت أصل ما قد ادعوا فيما مضى وكل ما قد انطوا
عليه بعد من فساد حالهم يشهد للناس على ضلالهم⁸⁴

في هذه الأبيات يقر بفسادهم وضلالتهم ويلقي هذه الفكرة للجمهور بأن الغلو والتناسخ والإلحاد مرفوض وبغيض في المذهب الإسماعيلي، فمثل هذه الاتهامات لا أساس لها.

كذلك يقوم المؤيد في الدين الشيرازي بإنشاد قصائد في رفض اعتقاد التناسخ والإلحاد بينهم ويلعنهم ويبرئ نفسه من أجل تبرئة الفاطميين من الاتهامات الموجهة إليهم وتعليم جمهوره وتنبههم حول موقف المذهب الإسماعيلي ومعتقداتهم ولئلا يبقى مجال لأي شك في معارضة الإسماعيليين لهذه العقائد فينشد:



يا رب فالعن جاحدي الشرائع وأرمهم بأفجع الفجائع
والعن إلهي من يرى الإباحة بلعنة فاضحة مجتاحة
يا رب إنا منهم براء هم واليهود عندنا سواء
فأخزهم وأخز من رمانا بريبه ولقه الهوانا⁸⁵

وكذلك قام برفضهم ولعنهم ليلق الحجة على جمهوره حول آراء الخلفاء الفاطميين كأئمة إسماعيليين ولتبرئة نفسه والمذاهب الإسماعيلي وأئمة الذين كانوا لايزالون في معرض الاتهام بالغلو من قبل معارضيهم ودحض الاتهام منهم⁸⁶.

والعن إلهي غالباً وقالياً ولا تذر في الأرض منهم باقياً⁸⁷

وهناك أشعار منسوبة إلى الخلفاء الفاطميين قد أشير فيها مباشرة إلى الإيمان الفاطمي بوحدانية الله والتوحيد، فهذه المسألة مهمة من حيث أنها تبين بأن ادعاء ألوهية الأئمة الفاطميين هو تكتيكاً وسلاحاً لدى معارضيهم ليجعلوا الفاطميين عرضة للاتهام وإضعاف أسس شرعيتهم في العالم الإسلامي. لذلك فإن اعتراف الخليفة الفاطمي بالتوحيد من خلال الشعر يمكن أن يكون بحد ذاته دعاية ضد هذه الهجمات. كالأبيات التالية المنسوبة إلى الخليفة الفاطمي الأمر:

أصبحت لا أرجو ولا أتقي إلا إلهي وله الفضل
جدي نبي وإمامي أبي ومذهبي التوحيد والعدل⁸⁸

كما أنشد ناصر خسرو قصائد كثيرة كانت تهز هذه الاتهامات في أرض العدو. منها قصائده التي تعبر عن إلتزام هذا الداعي الإسماعيلي بالشؤون الدينية والتي تقوم بإضعاف اتهامات مثل الإلحاد والفجور، كالأبيات التالية في طاعة الله وأداء الواجبات والفروض الدينية التي اعتبرها ناصر خسرو واجبة ومن لا يلتزم بهذه الفرائض يصفه بالظالم:

داد تو داده ست کردگار، ترانیز داد ز طاعت به داد باید ناچار
ور ندهی داد کردگار به طاعت بر تو کسی نیست جز که هم تو ستمگار⁸⁹

- وفر الله لك ولحياتك الحق والعدل فعليك أن تترك هذا الجميل بالطاعة والعبادة.
- وإن لم تؤدي حق هذا الجميل فلا يوجد أحد أكثر منك ظلما عليك.

وفي موضع آخر يعبر بلسان لاذع بأن معصية الله تليق بالبهائم ويعتبر تشكيك الجمهور في التزام الإسماعيليين بالفرائض الدينية عارا على نفسه:
بی طاعتی ای مرد خرد کار ستور است/ عارست مرا زین خود اگر نیست تو را عار
بی طاعتی امروز چو تخمی است کز آن تخم/ فردا نخوری بار مگر اندوه تیمار⁹⁰
- أيها الرجل إن العصيان من أفعال البهائم، وإن لم يكن ذلك عار عليك فهو عار علي.

- نكرانك اليوم هو بذرة لن تحصد منها إلا عبء الحزن غدا.
كما يمكن الإشارة إلى قصائد كتبت في إنكار الفاحشة ومذمتها مثل شرب الخمر وهي تعتبر تعليما دينيا من جانب وتنويرا في المعتقدات الإسماعيلية من جانب آخر وكذلك رفض الاتهام بالفاحشة وترك الفرائض:

خمر حرامست، بسوزد خدای آن دل و جان را که بدو پرروی⁹¹
جام می از دست بیفگن که نیست حاصل آن جام مگر وای مام⁹²

- الخمر حرام والله يحرق قلبا وروحا رببتهما على الخمر.
- ضع كأس الشرب من يدك لأن نتيجته ما هي إلا الندم.

4-خاتمة: إن الشعر يسهل فهم المضمون لما يتميز به من الإيقاع والموسيقى وسهولة ألفاظه ووضوحها، لذلك استخدم الفاطميون الشعر للتأثير على الجمهور وجذبهم وتفهم تعاليمهم، وبذلوا قصارى جهودهم لنشر مبادئهم وترويج عقائدهم من خلاله وحاولوا تقديم تعاليمهم وعقائدهم إلى الجمهور من خلال الشعر بتعبير رائع بليغ لتخليدها

في أنفسهم. لذلك فقد دعوا مخاطبيهم دائما إلى التعلم والتعلل بهذا الكلام الموزون حتى يتمكنوا من تسهيل تعليم المعتقدات الإسماعيلية العقلانية. حاول الدعاة الفاطميون في قصائدهم إثارة الشك حول المعتقدات السابقة لجمهورهم وإثارة فضولهم لتعلم معتقدات جديدة من خلال طرح أسئلة عديدة. ثم يقومون بتقديم تعاليمهم بطريقة مفهومة باستخدام تقنيات أدبية مثل التشبيه والاستعارة. وتقوية أسس تلك التعاليم باستخدام الآيات والأحاديث، كما يقومون بتأليف القصائد من أجل تبرئة أنفسهم من الاتهامات الأيديولوجية الموجهة لهم من قبل خصومهم. فلم يكن الشعر مجرد أدلة وذريعة لتعليم مبادئهم بل كان بمثابة سلاح في مجال الصراع الأيديولوجي السياسي مع المعارضين.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن العبري، يوحنا غريغوريوس الملطي. تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت: 1992.
- ابوالمعالي، محمد بن نعمت. بيان الأديان، تحقيق: محمدتقي دانش بزوه، الله بيشنمازاده، مجموعة الانتشارات الأدبية السياسية، تهران: 1376.
- الحامدي الهمداني، حاتم بن إبراهيم. رسالة تحفة القلوب لفرجة الكروب، تحقيق: عباس الهمداني، دار الساقى معهد الدراسات الإسماعيلية، بيروت: 2012.
- الذهبي، محمد بن أحمد. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 29، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت: 1993.
- السامعي، إسماعيل. وجه دين، القاضي النعمان وجهوده في إرساء دعائم الخلافة الفاطمية والتطور الحضاري ببلاد المغرب القرن 10 م، مركز الكتاب الأكاديمي، 2010.
- الغزالي، أبو حامد محمد. فضائح الفاطمية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، وزارة الثقافة، مصر: 1964.

- القاضي النعمان، أبو حنيفة محمد. أساس التأويل، تحقيق: عارف تامر، دار الثقافة، بيروت: د. تا.
- _____الأرجوزة المختارة في الإمامة (موقف الفرق من مسألة الإمامة ونقضه والدفاع عن حق الأئمة)، محقق: إسماعيل قريان بوناوالا، دار بيبليون، باريس: 2008.
- القبادياني، ناصر خسرو، جامع الحكميتين. تحقيق: محمد معين، هنري كربين، المكتبة طهوري، تهران: 1363.
- المسعودي، علي بن حسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 3، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، قم: 1409.
- المقريزي، أحمد بن علي. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج 2، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة: 1996.
- المؤيد في الدين، هبة الله موسى. المجالس المؤيدية، المائة الأولى، ج 1، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت: 1974.
- بدره اي، فريدون. ادبيات اسماعيلي، كتاب ماه ادبيات وفلسفه، العدد 80-81، (1383 ش) خرداد وتير.
- عمارة اليمني، نجم الدين. النكت العصرية في الأخبار المصرية، تصحيح: هرتويغ درونبرغ، مطبعة مرسو بمدينة شالون، باريس: 1897.
- فروخ، عمر. تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت: 1972.
- كامل حسين، محمد. في أدب مصر الفاطمية، جمهورية مصر العربية، (مصر: 2014



5- الهوامش والإحالات.

1. بدره‌اي، فريدون. ادبيات اسماعيلي، كتاب ماه ادبيات وفلسفه، العدد 80-81، (1383 ش) خرداد وثير، ص 36.
2. المسعودي، علي بن حسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 3، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، (قم: 1409)، ص 464؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج 11، تحقيق: محمد عبد القادر، عطا عبد القادر، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1992)، ص 42؛ ابن الأثير، علي بن محمد. الكامل في التاريخ، ج 6، دار صادر، (بيروت: 1965)، ص 445؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية، ج 10، دار الفكر، (بيروت: 1986)، ص 330.
3. المسعودي، المرجع نفسه، ج 4، ص 3.
4. فرّوخ، عمر. تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، (بيروت: 1972)، ص 466.
5. ابن الجوزي، مرجع سابق، ج 15، ص 207؛ ابن كثير، مرجع سابق، ج 12، ص 26.
6. ابن الكثير، المرجع نفسه، ج 12، ص 6.
7. ابن الأثير، مرجع سابق، ج 9، ص 372.
8. ابن الجوزي، مرجع سابق، ج 15، ص 279؛ الذهبي، محمد بن أحمد. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 29، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت: 1993)، ص 322؛ ابن كثير، مرجع سابق، ج 12، ص 49.
9. ابن الأثير، مرجع سابق، ج 12، ص 305؛ ابن العبري، يوحنا غريغوريوس الملطي. تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، (بيروت: 1992)، ص 238؛ ابن الكثير، مرجع سابق، ج 13، ص 45؛ ابن عماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: الأناؤوط، ج 7، دار ابن الكثير، (بيروت: 1986)، ص 84.
10. القبادياني، ناصر خسرو، جامع الحكميتين. تحقيق: محمد معين، هنري كربين، المكتبة طهوري، (تهران: 1363)، ص 16.
11. الحامدي الهمداني، حاتم بن إبراهيم. رسالة تحفة القلوب لفرجة الكروب، تحقيق: عباس الهمداني، دار الساقى معهد الدراسات الإسماعيلية، (بيروت: 2012)، ص 137-139.

12. المقرئ، أحمد بن علي. انتعاش الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج 2، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (القاهرة: 1996)، ص 266.
13. النويري، أحمد بن عبد الوهاب. نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 28، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، (القاهرة: 1992)، ص 179؛ المقرئ، أحمد بن علي. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج 2، تهميش: خليل المنصور، (دار الكتب العلمية: 1998)، ص 379.
14. القبادياني، ناصر خسرو، ديوان الأشعار، تحقيق: مجتبی مینوي، مهدي محقق، مؤسسة المطالعات الإسلامية لجامعة مك كيل، (تهران: 1357)، 87، 177، 307.
15. المرجع نفسه، ج 1، ص 85.
16. المرجع نفسه، ج 1، ص 18، 177، 182.
17. المرجع نفسه، ج 1، ص 182.
18. المرجع نفسه، ج 1، ص 101، 102، 84.
19. المرجع نفسه، ج 1، ص 101.
20. المرجع نفسه، ج 1، ص 258.
21. المرجع نفسه، ج 1، ص 71.
22. المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج 2، ص 260.
23. المرجع نفسه، ج 2، ص 260.
24. المؤيد في الدين الشيرازي، هبة الله موسى. ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، تحقيق: محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، (القاهرة: 1949)، القصيدة الخامسة، ص 216.
25. تميم بن المعز الفاطمي. الديوان، تحقيق: محمد حسن الأعظمي، دار الثقافية، (بيروت: 1970)، ص 186.
26. المرجع نفسه، ص 187.
27. القبادياني، ديوان الأشعار، ج 1، ص 20.
28. المرجع نفسه، ج 1، ص 71.
29. المرجع نفسه، ج 1، ص 85، 104.
30. المرجع نفسه، ج 1، ص 258.
31. المرجع نفسه، ج 1، ص 112-248.



32. المرجع نفسه، ج 1، ص 447.
33. السامعي، إسماعيل. وجه دين، القاضي النعمان وجهوده في إرساء دعائم الخلافة الفاطمية والتطور الحضاري ببلاد المغرب القرن 10 م، مركز الكتاب الأكاديمي، (2010)، ص 325.
34. القبادياني، ناصر خسرو. وجه الدين، أساطير، (تهران: 1382)، ص 65؛ القبادياني، 1357، ج 1، ص 281.
35. المرجع نفسه، ج 1، ص 276.
36. المرجع نفسه، ج 1، ص 5.
37. المرجع نفسه، ج 1، ص 55.
38. المرجع نفسه، ج 1، ص 258.
39. المرجع نفسه، ج 1، ص 35.
40. القاضي النعمان، أبو حنيفة محمد. أساس التأويل، تحقيق: عارف تامر، دار الثقافة، (بيروت: د. تا)، ص 31.
41. القبادياني، ديوان الأشعار، ج 1، ص 484.
42. المؤيد في الدين، ديوان المؤيد، الف: ص 190.
43. المرجع نفسه، الف: ص 196.
44. المرجع نفسه، الف: ص 73.
45. الكرمانى، حميد الدين. المصباح في إثبات الإمامة، تقديم وتحقيق/، مصطفى غالب، منشورات، (بيروت: 1969)، 106.
46. المؤيد في الدين، مرجع سابق، الف: ص 217.
47. عمارة اليمني، نجم الدين. النكت العصرية في الأخبار المصرية، تصحيح: هرتويغ درونبرغ، مطبعة مرسو بمدينة شالون، (باريس: 1897)، ص 339.
48. القاضي النعمان، أبو حنيفة محمد. الأرجوزة المختارة في الإمامة (موقف الفرق من مسألة الإمامة ونقضه والدفاع عن حق الأئمة)، محقق: إسماعيل قربان بوناوالا، دار بيبليون، (باريس: 2008)، ص 39.
49. المرجع نفسه، ص 41.
50. المرجع نفسه، ص 41-42.

51. المؤيد في الدين، ديوان المؤيد، ب: ج 1، ص 17؛ المرجع نفسه، الف: ص 70.
52. المرجع نفسه، الف: ص 70؛ المؤيد في الدين، هبة الله موسى. المجالس المؤيدية، المائة الأولى، ج 1، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، (بيروت: 1974)، ص 9.
53. المؤيد في الدين، مرجع سابق، الف: ص 73 و 217.
54. المرجع نفسه، الف: ص 73.
55. تميم بن المعز، مرجع سابق، ص 186.
56. المؤيد في الدين، ديوان المؤيد، الف: ص 217، 246، 257.
57. القبادياني، ديوان الأشعار، ج 1 ص 105، 179، 200، 219، 276، 540.
58. ابن رزيك، طلائع. الديوان، تحقيق: محمد هادي، الأميني، المكتبة الأهلية، (النجف: 1383)، ص 73، 107.
59. عمارة اليميني، النكت العصرية في أخبار الخلفاء المصرية، ص 339.
60. القبادياني، ديوان الأشعار، ج 1، ص 105.
61. ابن رزيك، مرجع سابق، ص 144.
62. تميم بن المعز، الديوان، ص 186؛ القبادياني، ديوان الأشعار، ص 143، 130.
63. تميم بن المعز، مرجع سابق، ص 187.
64. القبادياني، ديوان الأشعار، ج 1، ص 130.
65. المؤيد في الدين، ديوان المؤيد، ص 74.
66. لقبال، موسى. دولر كتابه في تأسيس الخلافة الفاطمية إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (الجزائر: 1979)، ص 206-208.
67. ابن الأثير، مرجع سابق، ج 9، ص 223 و 625؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ج 3 و 4، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، (بيروت: 1988)، ص 547، و 360.
68. المدبرس، عبد الرحمن. المدينة المنورة في العصر المملوكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، (الرياض: 2001)، ص 187-188.



69. ابن الدوادري، أبوبكر بن عبد الله. كنز الدرر وجامع الغرر، ج 6، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مكتبة المؤيد، (القاهرة: 2001)، ص 272؛ ابن الجوزي، مرجع سابق، ج 15، ص 59.
70. الهمداني، رشيد الدين فضل الله. جامع التواريخ، تصحيح: محمد روشن، مركز الدراسة للتراث المكتوب، (تهران: 1387)، ص 24.
71. ابن الجوزي، مرجع سابق، ج 15، ص 82؛ الجويني، عطا ملك بن محمد. تاريخ جهانكشاي، ج 3، تصحيح: محمد قزويني، دنيای كتاب، (تهران: 1385 ش)، ص 159-160؛ الهمداني، مرجع سابق، ص 25؛ المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأخبار، ج 2، ص 182؛ ابن تغري بردي، يوسف. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 4، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ج 4 (بيروت: 1992)، ص 229-230.
72. ابن الأثير، مرجع سابق، ج 9، ص 591؛ ابن الكثير، مرجع سابق، ج 12، ص 58؛ المقرئ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج 2، ص 223.
73. الجويني، مرجع سابق، ج 3، ص 174-177؛ ابن الأثير، مرجع سابق، ج 9، ص 591؛ ابن الكثير، مرجع سابق، ج 12، ص 58؛ المقرئ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج 2، ص 223.
74. الغزالي، أبو حامد محمد. فضائح الفاطمية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، وزارة الثقافة، (مصر: 1964)، ص 11-14.
75. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، دار الجيل: (بيروت: 1408 ق)، ص 278.
76. الغزالي، مرجع سابق، ص 49.
77. البغدادي، مرجع سابق، ص 46.
78. ابن تغري بردي، مرجع سابق، ج 4، ص 230.
79. البغدادي، مرجع سابق، ص 46.
80. الكرمانی، مرجع سابق، ص 168.
81. ابوالمعالي، محمد بن نعمت. بيان الأديان، تحقيق: محمدتقي دانش بزوه، الله بيشنمازاده، مجموعة الانشارات الأدبية السياسية، (تهران: 1376)، ص 54-55.

82. ابن هاني، أبو القاسم محمد. الديوان، دار صادر، (بيروت: 1964)، ص 97، 132، 186، 204، 205، 206، 275، 290؛ تميم بن المعز، مرجع سابق، ص 187-188 و 12 و 18؛ المؤيد في الدين، ديوان المؤيد، الف: ص 205، 209، 212، 235، 246؛ القبادياني، الديوان، ص 66، 162، 453، 454، 455، 486.

83. كامل حسين، محمد. في أدب مصر الفاطمية، جمهورية مصر العربية، (مصر: 2014)، ص 167.

84. القاضي النعمان، الأرجوزة المختارة في الإمامة، ص 233-234.

85. المؤيد في الدين، 1949، الف: 197-198.

86.

قد حاز غايات العلا قوم وضلو فيه مرضى السبيل
حتى غلا أخبرنا من الغمام في ظلل
قالوا هو الله الذي يأتي وإنه من سحف ورأى قد سفل
كما
يظن جهلا من غلا أن
قد علا

87. المؤيد في الدين، ديوان المؤيد، الف: ص 197.

88. ابن تغري بردي، مرجع سابق، ج 5، ص 181.

89. القبادياني، ديوان الأشعار، ج 1، ص 260.

90. المرجع نفسه، ج 1، ص 166.

91. المرجع نفسه، ج 1، ص 55.

92. المرجع نفسه، ج 1، ص 391.